

من شأنها - لو تحققت مراميها - تقوض مسرحنا وتدمر كيانه ونجهز على حاضره ومستقبله، وتمصف بالجهود الضئيلة التي بذلها المخلصون من رحاله حتى وصل إلى ما وصل إليه من ارتقاء نسبي ولعله من العجيب أن تحدث هذه الأحداث في الوقت الذي نطالب فيه البلاد بتطهير مراقبها - والمسرح في مقدمتها - من الجهل والقوضى، بل العجيب من ذلك أن تحدث هذه الأحداث باسم التطهير دون أن يفتن مفتعلوها إلى الفارق الجسيم بين التطهير والتدمير



زكي طليمات المقترى عليه

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

بدأت هذه الأحداث عمليا منذ منتصف الشهر الماضي عقب أن أوفدت قيادة الجيش الباسلة مندوبا عنها إلى الهيئات الفنية ليعاونها في استنقاذ النشاط الفني من برائن الرجعية وتوجيه الفنون وجبهة قومية تحقق بها وظيفتها المثلى. وكم كان غريبا ومربيا أن يجتمع ممثلو الفرقة المصرية وفرقة المسرح الحديث لا ليعملوا على تحقيق هذه التوجهات القومية؛ ولكن ليقدموا إلى ولاية الأمور مذكرات لا تمس الفن والإصلاح الفني إلا بقدر ضئيل، وهي بعد ذلك تتضمن مطالب يتحو بعضها منحنى شخصيا ويستهدف غايات غير فنية وينطوى على مثالب وترهات يندى لها الجبين. وليس أدل على ذلك من أن يطمئن ممثلو فرقة المسرح الحديث عميدهم « زكي طليمات » طمنات قاتلة! والأدهى من ذلك أن يطالبوا بتسريحته عن إدارة الفرقة التي تعتبر ثمرة جهاده الفني وإبادر فأؤكد أنني لا أبتنى الدفاع عن تصرفاته ولا أبتنى مهاجمة أعضاء الفرقة في وضمهم الجديد الذي استقروا عليه الآن، بل لا أبتنى تناول النواحي الشخصية التي اتركوا إليها، تاركا تقدير ذلك لحكمة ولاية الأمور وفطنتهم. وإنما أبتنى، كناقذ، أن أكشف عن بواعث هذه المحنة من الناحية الفنية وحدها، وأن أوضح مدى ما يترتب عليها من خطورة على الفن المسرحي وربما لا يني لإيضاح ذلك أن نسرده تاريخ زكي طليمات وجهاده الفني في أكثر من ثلاثين عاما؛ بل بمجرد بنا أن تلتس أثره العميق في الحقبة الأخيرة التي بدأت بإنشاء فرقته وانتهت باستقالته وندب غيره لإدارتها واقطاع الصلة الوثيقة بينه وبين تلامذته الذين تألبوا عليه لترى نتائج هذا الأمر في تطور المسرح المصري وبالتالي لترى مدى الخسارة التي ستلحق به بفضل التآلبين... الناشئين

كنت آمل أن أستقبل الموسم المسرحي الجديد بما استقبلت به الموسمين الماضيين من بشر وتفاؤل. بل كنت آمل أن أزداد بشرا وتفاؤلا كما تقضى بذلك سنة التطور. غير أن الأحداث التي تواجه المسرح المصري في الآونة الراهنة تدعوني مع الأسف الشديد إلى الحزن والأسى إشفاقا على مصيره. ذلك لأنها ليست من قبيل الأحداث الكثيرة التي واجهت مختلف المسارح في مختلف الأمم حينما كانت في دور التكوين، وإنما هي أحداث مفتعلة

ونكرر هذا على المنازل التي سكنها سيد درويش، وكامل الخليلي، والرافعي، ونفري أبو السعود، وغيرهم. إن هذه اللوحة الصغيرة لن تكلفنا شيئا، ولكنها ستكون بعيدة الأثر في إحياء ذكرى الكاتب أو الفنان بعد مائة عام! إننا في عهد البعث، عهد الإحياء، هذا العهد الجديد الذي جب كل ما كان قبله، العهد الذي يقوم على السواعد الشابة الفتيمة والنفوس المؤمنة العاقدة، التي ظلت مجاهد وتعمل حتى طلع الفجر من وراء الليل الأسود الطويل، وفي هذا العهد يجب أن نمنع كل شيء في سبيل المجد، مجد مصر.. والأبطال الحقيقيون، الخالمون، الذين رفعوا صوتهم في الأيام السود، والذين جاهدوا في وقت كان الظلام يعم فيه كل شيء، وكانت كلمة الحق أفسى على الظالمين من أصوات المدفع، وكان كل حر مريض لأن يذهب إلى غير رغبة، هؤلاء الذين وقفوا وقفة الأسد في وجه الطغيان، يجب أن نتحنى لهم اليوم!

ألمور الخنري

أول من استجاب للدواهي الوطنية من رجال المسرح.. وقدموا ويتين وطنيتين.. وآثر أن يرجي برناجه ليشارك الثوار ويضئ الطريق للأحرار

وهكذا نجح ماديا ومعنويا.. وأفلح فنيا وقوميا.. وفاز برضاء الوطن والفن وتأييد المخلصين
هذه هي قصة زكي طليبات موجزة خلال العامين الماضيين ،
وهذه هي أيضا قصة بجماليون القرن العشرين

فقد روت الأساطير الهلينية أن الفنان بجماليون ابتدع تمثالا رائع الجمال فشفق به حبا وتوسل إلى الإلهة أفروديت أن تمنحه زوجة شبيهة بهذا التمثال. واستجابت الإلهة لهذا التوسل بأكثر مما كان يتصور.. إذ منحت الحياة للتمثال ذاته وتزوج بجماليون تمثاله الذي ابتدعه بيديه . وما أظن أن رمزية هذه الأسطورة في حاجة إلى إيضاح.. لكن ما يجند بنا إيضاحه أن أحدا من شعراء الإغريق لم يحاول إخراجها مسرحيا وإنما اكتفوا واكتفى الأديباء من بعدهم باستلهاها واستيحائها.. فاستلهاها (مارستون) في أشعاره التي ظهرت عام ١٥٩٨ واستوحاها (موريس) في مجموعته القصصية التي ظهرت عام ١٨٦٨ وجاء المحدثون فوجدوا فيها معينا لسرديات كوميدية.. نذكر من هؤلاء جلبرت ثم شو ثم توفيق الحكيم وغيرهم.. ومع هذا لم يرتض أحدهم أن يخرجها من إطارها أو أن يزرى بكرامة الفنان بجماليون في الصراع بينه وبين تمثاله.. واحتفظوا له بكيانه وأخرجوه منتصرا على تحفته الفنية باعتباره مبتدعها ونافع الروح والجمال فيها . ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الرونق الفني فرموا البتدع بحجارة تمثاله وخلقوا من الكوميديا مأساة.. أولئك هم الزملاء الفضلاء مثل فرقة المسرح الحديث وهذه مسرحيتهم التي مثلها أخيرا مع عميدم الذي ابتدع فرقتهم، ونفخ فيها الحياة والجمال، وعشقها وتغنى في الإخلاص لها فكان جزاءه الجحود والمقوق

وإني لأذكر في يوم ميلادها كيف حرص على أن يكتب في أول نشرة أذاعها : « إن هذه الفرقة لن تهلك إلا إذا اتهم أعضاءها على قتلها » وكنت مع إيماني بمصافته وبعد نظره أعجب لذلك وأعجب أكثر من ذلك لإصراره على تسجيل هذه العبارة في كل نشراته بلا استثناء ، وما كان يدور بخليتي أن ماتوقمه

ولنعد قليلا إلى الوراء . وحسبنا أن نمود إلى الفترة التي سبقت إنشاء هذه الفرقة لنستذكر ما جاهر به النقاد وقتئذ ، فقد أجموا على أن المسرح المصري بلغ من الهزال حدا لا رجاء فيه ، وحاول بعضهم تأويل ذلك إما بنقلة السينما عليه على اعتبار أنها أكثر منه ملاءمة لروح المصري.. أو بانصراف الناس إلى أمور معاشهم أو ماشابه ذلك ونسوا جيمنا أن المسرح فن لا يزال يزدهر عند الأوربيين وهم أكثر منا اشتغالا بالسينما وتكاليا على الأمور العاشية... والمهم أن أحدا لم يتمكن من تشخيص الداء ووصف الدواء سوى زكي طليبات . . إذ اهتدى بتقافته وتجربته وتخصصه إلى أمرين جوهرين :

الأمر الأول أن النهاية التي وصل إليها مسرحنا لم تكن إلا نتيجة حتمية للبداية التي بدأ بها . فقد بدأ في أواخر القرن الماضي بداية ساذجة بمعنى أنه لم يثبت نباتا طبيعيا كما حدث عند الإغريق ، ولم يستتب استنباتا سليما كما حدث في أوروبا ، فكان لابد من أن ينتهي إلى تلك النهاية الساذجة -

والأمر الثاني أن المسرح فن لا تستقيم له الحياة إلا إذا توافرت له البيئة التي تحيا فيها والعقلية التي تدركه ، وهذا ما لم يتهيأ لمسرحنا في شتى عهوده . فكما أن فكرة الجبل القديم عنه لم تخرج عن اعتباره إحدى وسائل التسلية والتلهية والتنفيس.. كذلك ظلت فكرة الجبل الأخير مع اختلاف في التفاصيل دون الصميم من أجل ذلك وضع سياسته الفنية على أساس تقريب إنتاجنا من الأوضاع الفنية الصحيحة وتهيئة بيئتنا وأذهاننا لتقبل هذه الأوضاع ، وتحقيقا لهذه السياسة أنشأ فرقته على دعائم منهجية وحدد برناجها في ثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الأولى مرحلة الترجمة عن الغرب والتلذذ على الغربيين فيما امتازوا فيه ، والمرحلة الثانية مرحلة التجربة والممارسة ، والمرحلة الثالثة مرحلة الخلق والابتداع . وكما وفق في التصميم وفق أيضا في التطبيق ، ولهذا أفرقت فرقته عن الوسائل الارتجالية، وترفت عن مملأة النزعات السطحية ، وآثرت تقديم الترجمات الممتازة ، وقدمت في مستهل عهدها ثلاث روايات لمولير ورواية لتشيكوف وأخرى لبريستلي دون أن تمسخها بالتصوير والتعريب.. وظلت تسير على هذه الوتيرة حتى تأججت الثورة على الاستعمار في الموسم الماضي.. فكان زكي طليبات